٢٠

الإسلام فى يثرب

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

[سورة الدخان]

﴿ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾

[سورة الدخان]

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾

[سورة الجاثية]

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾

[سورة الغاشية]

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾

[سورة الكهف]

obeikandl.com

«مكة، بصحن الكعبة.. المصطفى ﷺ وحوله بعض من رؤوس قريش، يصبر على جدلهم، ولا ييأس من هدايتهم.. يقول لهم..».

النبى : يا معشر قريش، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير!

قرشى : (للنبى) ألست تزعم أن عيسى كان عبدًا نبيًّا.. وعبدًا صالحًا؟..

قرشى آخر : ألم يعبدوه من دون الله؟!

القرشى الأول : فإن كان كما تزعم فهو كآلهتهم!

قرشى ثالث : (لمن إلى جواره متهكمًا) أم يريدنا أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى؟

القرشى الثانى : آلهتنا خيرٌ منه!

* * *

«محمد ﷺ فى خلوته وتعبده، يتعجب لجهالة الكفار، وحبهم للجدل، وإسرافهم فيه، وجرأتهم على الحق... وإذ هو ﷺ فى تحنثه ومناجاته ربه، يلم به الروح الأمين».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ

عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة الزخرف: الآيات: ٥٧ - ٦٤]

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة، وقد ألم بها قحط شديد.. جف الزرع والضرع، وأصاب القرشيين جهد شديد.. جعل الواحد ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد.. يتحدث بعضهم بأن محمدًا ﷺ قد دعا عليهم ربه أن يعينه عليهم وعلى صدهم بسبع كسبع يوسف عليه السلام.. ينكر آخرون أن يكون ما ألم بهم غضبًا من السماء.. تأخذهم حيرة شديدة تضطرب لها نفوسهم حتى يستغفر بعضهم ويفكر بعضهم فى سؤال محمد صلى الله عليه وسلم أن يستسقى لهم ربه..».

«محمد ﷺ فى خلوته وتهجده، يوافيه جبريل عليه السلام.. فيوحى إليه من كلمات ربه..».

جبريل: (يتلو على محمد) ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الدخان: الآيات: ٩ - ١٢].

(يرتفع الوحى)

* * *

«لا يصبر القرشيون على ما بهم من ضنك.. يذهبون إلى النبى ﷺ فيسألونه أن يستسقى لهم – يقولون له: «يا رسول الله، استسق الله لمضر فإنها قد هلكت».. النبى ﷺ يستجيب لهم فيدعو ربه أن يرفع الغمّة عنهم..».

* * *

«مكة، بعد أيام وقد ابتلت العروق، ونزل فيض السماء، واخضر الزرع، بيد أن قريشًا وقد زالت الغمة، يرتدون إلى ما كانوا عليه وفيه من جحود وصد وإنكار..».

«النبى ﷺ فى تعبده وتحنثه، وعجبه لحال الإنسان، وحال قريش، يوافيه جبريل عليه السلام.. فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الدخان: الآيات: ١٣ – ١٦].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة.. لا يزال كفار قريش يبدلون فى أحجارهم التى يعبدون كأنهم يبدلون ملابسهم.. يتبع كل منهم هواه.. لا يهوى الواحد منهم

شيئا إلا ركبه، لأنهم لا يؤمنون بالله – القرشى الذى ظل حينا من الدهر يعبد العزى – وهو حجر أبيض.. لا يكاد يقع على حجر آخر يستحسنه إلا ترك العزى وغرق فى عبادة الحجر الجديد.. ينظر المسلمون فى عجب لهذه العقول الضامرة، ويتعجبون لأمر الحارث بن قيس السهمى.. أحد كبار المستهزئين المعاندين.. لا يلتفت فى استهزائه وعناده إلى ما هو غارق فيه من تفاهة وضلالة، يبدل فى عبادته حجرًا مكان حجر.. ينتقى من الأحجار التى يعبدها ما تهواه نفسه!!!!».

«النبى ﷺ فى خلوته وتهجده، يلم به جبريل عليه السلام..».

جبريل: (يتلو على محمد) ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[سورة الجاثية: الآية: ٢٣].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة.. نفر من المسلمين يتحادثون فى أمر ما نزل على النبى ﷺ من مواساة فى سورة الذاريات.. يتذاكرون تسرية الله تعالى عنه وقوله

له ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الذاريات: الآية: ٥٢].. يتعجب المسلمون من عناد الكفار، ولكن بعضهم يتساءل ماذا يعنى قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الذاريات: الآيات: ٥٣ - ٥٤) أليس يعنى هذا نهاية وانقطاع الوحى؟-. يقول بعضهم لبعض: ألم يؤمر النبى ﷺ بأن يتولى عنهم؟!.. يشتد الأمر على أصحاب الرسول عليه السلام حتى يظنوا الهلكة وأن العذاب قد حضر..».

«النبى ﷺ فى خلوته يتحنث ويناجى ربه، يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[سورة الذاريات: الآية: ٥٥].

(يرتفع الوحى)

«المسلمون فى مجلسهم، يخرج عليهم النبى ﷺ معتجرًا (ملتفًا) ببرد.. على محياه البشر، يتلو عليهم ما نزل به جبريل، تطيب نفوسهم ويسرى عنهم»

* * *

«مكة.. على بن أبى طالب وعقبة بن أبى

معيــط يتلاحيان.. يضيق صــدر عقبة.. ويأخذه الغرور والزهو..

عقبة بن أبى معيط : (لعلى مزهوًا بنفسه) أنا أبسط منك لسانًا وأحد سنانًا وأورد للكتيبة، وأملأ منك فى الكتبة حسبًا.

«علــى بــن أبى طالب يشــتد بــه الغضب، ويوشــك أن يشــتبك وإياه، ولكنه يغالب غضبه ويمسك بعبارة تكـاد تخرج من شفتيه..».

«بعد أيام.. محمد ﷺ فى تعبده، يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة السجدة: الآيات: ١٨ - ٢١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكــة، بظاهر الكعبة، نفر مــن كفار قريش يتطاولــون علــى المســلمين، يســتهزئون بهــم ويعايرونهم بما هم فيه مــن شــدة وضنك».

مسلم : (للقرشيين) سيفتح الله عز وجل علينا، وسيحكم سبحانه بيننا يوم القيامة، فيثيب المحسن ويعاقب المسيء..

«القرشيون يتضاحكون مستهزئين..».

قرشي : (ساخرًا مستهزئًا) متى هذا الفتح إن كنتم صادقين؟!!.

«بعد أيام.. محمد ﷺ في تعبده وتحنثه ومناجاته ربه، يوافيه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة السجدة: الآيات: ٢٨ - ٣٠].

(يرتفع الوحي)

* * *

«مكة، وقد استدار عام على الحج السابق.. وأقبل موسم الحج الجديد.. تتناهى الأنباء إلى النبي ﷺ بقدوم بعض من أنصار يثرب.. يوافيهم ﷺ عند العقبة.. بينهم الستة الذين لقوه في العام السابق: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وعوف ابن الحارث، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة ابن عامر، وجابر بن عبد الله، ورافع بن مالك.. أتوا يحملون بشارة تفشى الإسلام في يثرب.. قد أقبل معهم لعامهم هذا سبعة آخرون.. من الخزرج: معاذ بن الحارث بن عفراء نسبة إلى

أمه عفراء الشـريفة الخزرجية الطاهرة، وذكوان ابن عبد قيس الزُرقى، وعبادة بن الصامت، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة، والعباس بـن عُبـادة ابـن نَضْلـة – ومـن الأوس أبـو الهيثم مالك بن التَّيْهان وعويم بن ساعدة..».

«يقبـل الاثنا عشـر نقيبًا على الرسـول ﷺ فرحـين مستبشـرين، يبثونـه مـا كان من أمر تصديـق من تحدثوا إليهم بيثرب من بنى قومهم فى عامهم المنصرم.. النبى ﷺ يتلقى بشـاراتهم بالرضا!!..».

«النبى ﷺ يحادثهم فـى البيعة.. يقول لهم من يدخل فى الإسـلام لا يشرك بالله شيئًا، ولا يسـرق، ولا يزنـى، ولا يقتـل أولاده، ولا يأتى ببهتان يفتريـه بين يديـه ورجليه، ولا يعصى الرسول فى معروف..».

الأنصار : (مصادقين) على ذلك نبايع يا رسول الله.

النبى : «فمن وفى ذلك منكم فأجره على الله».

«الأنصـار يتقدمـون بين يدى الرسـول ﷺ فيبايعون».

الأنصار : نبايعك يا رسـول الله، على أن لا نُشـرك بالله شيئًا، ولا نسـرق، ولا نزنـى، ولا نقتل أولادنـا، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصى فى معروف..

النبى : (فى رفق ومحبة) كما قلت لكم.. إن وفيتم فلكم الجنة،

وإن غشـيتم من ذلك شـيئًا فأخذتم بِحَدّه فى الدنيا فهو كفارة له، وإن سُـترتم عليه إلى يـوم القيامة، فأمركم إلى الله عز وجل: إن شاء عَذّب، وإن شاء غفر.

«الأنصار يبايعون ويكبرون..»

* * *

«بصحـن الكعبـة.. النبـى ﷺ، يدعو إليه مصعـب بـن عمير، يطلـب إليـه أن يصاحب الأنصـار إلى يثرب.. وأن يسـتعين معه بابن أم مكتوم..».

مصعب بن عمير : بأبى أنت وأمى يارسول الله..

النبى : أقرئهم القرآن، وعلمهم الإسلام، وفقههم فى الدين.

مصعب : سأفعل إن شاء الله..

«مصعب ينهض ليجهز نفسه للرحيل..».

* * *

«أحـد أزقة مكة، مصعب بن عمير قد احتمل زاده، فى طريقه إلى خارج مكة مهاجرًا إلى غايته.. على ناصية أحد الأزقة، يرقبه مَكِّيان..».

المكى الأول : (لرفيقه) أترى هذا الفتى فى هذه الأسمال البالية؟!

المكى الثانى : ما باله؟!

المكى الأول : أتصدق أن صاحب هـذه الأسمـال هو مصعب بن عمير؟!

المكى الثانى : فما فعل به ذلك؟.. عرفته يرفل فى الترف والنعيم!

المكى الأول : غضبت أمـه عليه منذ أسلم.. (مستأنفًا) حبسته زمنًا، فلما يئسـت منه أطلقته.. ولكنها قبضت عنه يدها!! واللات، لقد رأيت مصعبًـا هذا وما بمكة فتى أنعم عند أبويه منه، ثم ها هو قد ترك هذا كله حبًا لله ومحمد!!

* * *

«مكة.. لا تزال عقـول الكفار الضامرة قاصرة عن اسـتيعاب القـدرة الإلهيـة.. يعجزون عن التحليـق فى الآفاق العلـى، يتعجبون من خلق الكـون بما فيه من جبال وبحار.. لا يصدقون أن هناك جنة، أو أن هناك حسابًا..».

«الرسـول ﷺ بصحن الكعبـة.. يقترب منه وافد إلى مكـة من أهل البادية..».

البدوى : (للنبى) يا محمد؟ إنه قد أتانا رسـول منك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟

النبى : صدق..

البدوى : فمن خلق السماء؟!

النبى : الله.

البدوى : فمن خلق الأرض؟!

النبى : الله.

البدوى : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟

النبى : الله.

البدوى : فبالذى خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال ـ آلله أرسلك؟

النبى : نعم.

«ينصرف الرجل حائرًا بين مصدق ومكذب.. يطمئن للهجة الصادق الأمين، ولكن عقله عاجز عن فهم كيف خلقت هذه الأكوان والسموات والجبال..».

«محمد ﷺ فى خلوته يتعبد ويتهجد ويناجى ربه، يتنزل عليه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[سورة الغاشية: الآيات: ١٧ – ٢٦].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة.. قريش وقد أتاها تحريض يهود أن يسألوا محمدًا ﷺ عن ذى القرنين.. ما خبره؟! تقول يهود لوفود قريش: ما باله يقول عنا أننا لم نؤت من العلم إلا قليلا.. لقد أوتينا علمًا كثيرًا.. لقد أوتينا التوراة، ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيرًا كثيرًا..».

«النبى ﷺ فى تعبده وتهجده ومناجاته ربه، يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلـو على محمـد) ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة الكهف: الآيات: ١٠٩ – ١١٠].

(يرتفع الوحى)

* * *

«حى من أحياء مكة.. دار أحد المشركين وقد أدى لأحد المسلمين دينًا كان عليه للمسلم..».

المسلم : (للمشرك) ما كنت أرجوه بهذا الدين بعد الموت..

المشرك : (مقاطعًا) بعد الموت؟!!..

المسلم : أجل، إن الله تعالى يرسل الروح بعد الموت..

المشرك : (مقاطعًـا) أو تزعم أنك تُبعث بعد الموت ؟!.. (مستأنفًا) لأقسـمن بالله جهد يمينـى أن الله لا يبعث من يموت.. (مرددًا متمتمًا) كيف يُبعث الميتون ؟!!

«المسلم يعف عن الجدال.. يمضى».

* * *

«النبى ﷺ فى خلوته يتحنث، يأتيه جبريل فيلقى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو علـى محمد) ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾[سورة النحل ٣٨ –٣٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى ﷺ فى خلوته يناجى ربه.. يطوف بخاطره أصحابه الذين أوذوا وهاجروا فرارًا بدينهم من طغيان قريش إلى الحبشة.. منهم من عاد ظنًا أن الأمور قد آلت بمكة إلى سواء، فأضناهم ما وجدوا عليه قريش من تصميم على الصد والنكير والإعنات، فبقى إلى جوار النبى يتلقى ما يتلقاه من إيذاء!!، ومنهم من بقى غريبًا مهاجرًا فى الحبشة ينتظر أمر ربه سبحانه وتعالى بالإياب.. يتأمل النبى ﷺ راضيًا بما عليه أصحابه الأبرار من جلد وصبر..».

«وإنه لفى تأملاته ونجواه، يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾[سورة النحل: الآيات: ٤١ – ٤٢].

(يرتفع الوحى)

* * *

«محمد عليه الصلاة والسلام مستغرق فى تأملاته ومناجاته ربه، لا تكاد عينه القريرة بأصحابه تغادرهم للحظة، حتى تفيض مشاعره أسى على حال وضلال بنى قومه.. لا يرعوون، يجادلون فى الله، وينكرون الحق الصراح، ويأبون التسليم بنبوته.. منهم من يستكثر هذا، ومنهم من يقول لنفسه إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا، فهلا بعث إلينا ملكًا؟!.. غريب أمرهم: يجهلون ولا يريدون أن يفارقوا جهالتهم.. ولا أن يسألوا غيرهم أو يحتكموا إلى عقولهم!!».

«محمد ﷺ فى تحنثه، يلقنه جبريل من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[سورة النحل: الآيات: ٤٣ - ٤٤].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مشارف يثرب، يصل مصعب بن عمير ومعه الضرير ابن أم مكتوم الذى نزلت فيه أوائل سورة عبس.. يتلمسان طريقهما فى أزقة يثرب.. حتى يصلا إلى دار أبى أمامة أسعد بن زرارة بن

عدس.. يستقبلهما حفيًّا بهما، حتى إذا ما مضى يوم وبعض يوم استراحا فيهما من وعثاء السفر، ينهض أسعد فيصحب مصعبًا إلى حيث يتلمسان طريقهما إلى أهل يثرب..».

* * *

«دار سعد بن معاذ سيد بنى عبد الأشهل.. توافيه أنباء بأن أسعد بن زرارة ـ ابن خالته ـ قد صحب وافدًا من مكة.. يقال إنه من لدن محمد بن عبد الله الذى يدعو بمكة إلى دين جديد.. يدخل عليه أسيد بن حضير قسيمه فى مكانته ببنى عبد الأشهل..».

معاذ بن جبل : (مبادرًا) أرأيت ما فعل أسعد بن زرارة؟

أسيد بن حضير : وما ذاك؟!

معاذ : إنه الآن على بئر مَرَق جالسًا إلى الحائط ومعه مكى بعث به محمد بن عبد المطلب ليدعو قومنا للإسلام!

أسيد : تبًا لهما!

معاذ : انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا ديارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا ديارنا.. (يستأنف مفسرًا) لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت لكفيتك ذلك.. إنه ابن خالتى ولا أجد عليه مقدمًا!

«ينهض أسيد بن حضير، فيتناول حربته، وينطلق لا يلوى على شىء..».

* * *

«ديار بنى ظفر.. على حائط بجوار بئر مَرَق.. مصعب بن عمير ومعه أسـعد بن زرارة، يجلس إليهما بعض بنى عبد الأشـهل.. مصعب يقرئهم القرآن، ويبين لهم الإسلام.. يلتفت أسعد فيرى أسـيدًا بن حضير قادمًا متشـحًا بحربته، بادى الغضب..».

أسعد بن زرارة : (لمصعب وهو يشـير إلى أسيد) هذا سيد قومه، قد جاءك فأصدق الله فيه!

مصعب بن عمير : إنْ يجلس أكلمه..

«يصل أسيد بن حضير، فيقف على رأسيهما مغضبًا وقد رشق حربته فى الأرض..».

أسيد بن حضير : (مغضبًا) ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟!.. اعتزلا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة!

مصعب : (فى هـدوء وثبات) أو تجلس فتسـمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كُف عنك ما تكره؟

أسيد : (على مضض وقد هدأ قليلاً) أنصفت.

«أسيد ينحى حربته، ويجلس إليهما.. يشرع مصعب فى بيان الإسـلام، ثـم يأخذ فى تلاوة القرآن وأسـيد منصت فـى صمت عميق.. تنفرج أسـاريره شـيئًا فشـيئًا كلما سمع مزيدًا من آى الذكـر الحكيم .. تكاد ملامح أسـيد تتغير تمامًا حتـى عرف أسـعد فى وجهه الإسـلام قبل أن يتكلم..».

أسيد : (بوجـــه مضيء) ما أحســـن هذا الـــكلام وأجمله.. كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟

مصعب : تغتسل فتتطهّر وتطهّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق.. ثم تصلى.

«أســـيد ينهض إلـــى حيث ذهب ليغتســـل ويتطهر، يعود وقد طهر ثيابه وبدا الإشراق على وجهه.. يشـــهد أن لا إلـــه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.. يكبر الحاضرون..».

أسيد : إن ورائـــى رجـــلاً إنَ اتبعكمـــا لم يتخلـــف عنه أحد من قومه.. (مستأنفًا) عسى أن أرسله إليكما الآن..

«أسيد بن حضير يحتمل حربته ويمضى..».

* * *

«سعد بن معاذ بندوته بداره وحوله لفيف من بنى قومه، يلمح أسيدًا بن حضير قادمًا، يتفرس بقلق فى ملامحه..».

سعد بن معاذ : (لمن حوله) أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم!

«يصل أسيد، فيقف على النادى..»

سعد : (بقلق) ما فعلت؟!

أسيد : كلمت الرجلين فوالله ما وجدت فيهما بأسًا.

سعد : (معاجلاً) ألم تنهمهما؟!

أسيد : قد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت..

«سعد يهدأ قليلاً».

(مستأنفًا) وقد حدثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه!

سعد : (مقاطعًا فى قلق) ويحك!

أسيد : (مستثيرًا) قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك...!!

سعد : (وقد استشاط غضبًا) والله ما أراك قد أغنيت شيئًا!

«ينهض سعد بن معاذ مغضبًا يمتشق حربته وينطلق من ورائه أسيد بن حضير، ينشد ابن خالته أسعد بن زرارة..».

* * *

«على بئر مَرَق.. مصعب بن عمير وأسعد ابن زرارة لا يزالان على حالهما مع نفر ممن أسلم.. يلحق بهما سعد بن معاذ.. ولكنه يلحظ أنهما هادئان، فيدرك أن أسيد بن حضير أراد شيئًا.. يهدأ سعد قليلاً ولكنه يبادر أسعد بن زرارة لائمًا..».

سعد بن معاذ : (لائمًا لأسعد) يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هذا منى.. أتغشانا فى دارنا بما نكره؟!

أسعد بن زرارة : (هامسًا لمصعب) جاءك والله سيد منَ وراءه من قومه إنْ يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان.

مصعب : (لسعد بن معاذ) أو تقعد فتسمع ؟ فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره.

سعد : (وقد هدأ قليلا) أنصفت.

«سعد ينحى الحربة جانبًا، ويجلس.. يبدأ

مصعب فيعرض عليه الإسلام، ويتلو عليه القرآن.. ينزل القرآن منزلا حسنًا من نفسه.. يتغشاه نور وهدى يحسه من حوله..».

سعد : (مبادرًا) كيف تصنعون إذ أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين؟

مصعب : تغتسل فتتطّهّر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله..

«ينهض سعد، فيغتسل، ويتطهّر، وينطق بالشهادتين.. يكبر الحاضرون.. سعد بن معاذ يصحب أسيدًا بن حضير ويغادران..».

أسعد : (مناديًا لهما) إلى أين؟!

سعد : إلى بنى عبد الأشهل.. لعلك تسمع من أمرهم وأمرنا ما يرضيك..

«يمضيان..».

* * *